

## بأي حال تعودين يا أعياد...؟!.

بين سندان عام قديمٍ راحل ومطرقة عامٍ جديدٍ مقبل...، تطلُّ علينا المناسبات والأعياد بمختلف أنواعها وأشكالها وحللها وطقوسها ومراسيمها المفرحة منها والمحنة...، فيحتفل الناس بها في كل بقاع المعمورة بغض النظر عن حُسْن الأحوال أو رداعتها...، هذا هو حال دنيانا التي يقال عنها وفق أعرافنا بأنها فانية أو هي ليست سوى بمتاع الغرور...؟!.

وما بين رحيل عامٍ صعبٍ وقدمٍ آخرٍ أكثر صعوبة، يلقى المرء في حياته ثمة فوارق ومفارقات وأرباح وخسائر لا حصر لها...، ففراق الأعوام لبعضها البعض بحد ذاته هو أول خسارة عمرية يتعرض لها الإنسان مهما كان شأنه أو مكانته، إذ أن الكل - دون استثناء - يرمي بسنة من عمره في سلة مهملات التاريخ البشري، سواء أكانت تلك السنة حلوة لا تُعاد أو مرّة لا تُطاق.

إن إحياء أيِّ عيد أو أية مناسبة دينية أو قومية أو مجتمعية في حياة البشر، يتم عادة بإقامة الصلوات وتبادل التهاني والتبريكات أو بإقامة السهرات وحفلات السمر الجماعية وبناء الأهرامات على الأحلام والأمانى والرجاء من الرب لنيل الرحمة الأوسع والحظ الأوفر والموفقية الأكثر...، في حين أنّ الأهم من هذا السلوك المجتمعي الاعتيادي العفوي أو ذلك الأداء الروتين المتوارث...؟!، هو أن يعتبرها المرء محطات مفصلية هامة يُجرى فيها جرداً ذاتياً - مجتمعياً واقتصادياً وسياسياً - يستذكر من خلاله كل ما جرى معه وحوله من أرباح أو خسائر في الأمور خلال طيلة عامٍ مضى، وذلك تحضيراً لاستقبال العام الجديد بفتحة جديدة وروحية جدية وإمكانيات أكثر وفرة.

أما الجرد الواجب إجراؤه من قبل أي طرفٍ سياسي وطني ديموقراطي، لإجمالي المناخات الدولية والإقليمية والداخلية التي ودعنا فيها على أنغام سيناريوهاتنا المتعددة ومجريات أحداثها المتنوعة فلول عام ٢٠٠٤م، لنستقبل أو نقف بنوع من المسؤولية على عتبة عام ٢٠٠٥م...، فهو الوقوف بشفافية أمام اللوحة السياسية للعلاقات الدولية السائدة التي أُلقت بظلالها على العالم في العام المنصرم الذي أقل ما يمكن أن يقال عنه هو أنه اتسم بالاصطدام بمفاجآت متعددة الأشكال والألوان والخلفيات والنتائج والنداعيات.

وكي لا نتوه ونذهب ونخوض في الموضوع بعيداً عن ديارنا التي ينبغي أن تتال أحوالها الأولوية والاهتمام، فإننا سنأخذ الحالة السياسية السورية الراهنة كأنموذج حي وكشأن عام، من حقنا أن نقف بجدية حيالها للتدقيق فيها وتشخيصها والبحث عن الحلول والمخارج الممكنة للتوصل إلى نتائج إيجابية تجلب الفائدة المرجوة على هذا البلد الذي هو بلدنا جميعاً سواء أ كنا عرباً أو كورداً أو أية قومية أخرى تعيش وسطنا.

إنّ الشأن السوري هو شأن عام وليس حكراً على أية قومية أو فئة معينة قد تكون حاكمة أو محكومة، فالهموم والشجون السورية هي واحدة لأنّ الواقع المعاش هو مشترك والحاضر الواجد هو واحد والمستقبل القادم أيضاً واحداً سواء شئنا أم أبينا ذلك.

لقد كان عام ٢٠٠٤م...، بأعبائه الثقيلة على الوطن والمواطن، عاماً سورياً صعباً على شتى الصعد لدى مختلف مكونات الطيف الوطني السوري، فبالرغم من جملة الضغوطات الخارجية ورغم ما حصل ويحصل في الخارج من متغيرات ومستجدات سياسية ودبلوماسية وعسكرية واقتصادية، إلا أنّ العقلية البعثية لا زالت تتمسك بموقف الترقب والتحفز لدرئ مخاطر التأثير بالتحوّلات الجارية في المنطقة، ويبدو أنها مصرة على أن تتشبّث بهذا السلوك...!! فهل ستجرح في هذا المسعى غير الأمن بل المجهول النتائج...؟!، وإلى أي مدى سيبقى هذا الخيار صحيحاً...؟!، وهل لزاماً على هذا البلد أن ينتظر حتى تباغته المفاجآت وتحلّ بأهله المصائب...؟!، أم أنّ ما تعرّض له الآخرون لا يكفي كي يكون درساً ينعظ به حزب البعث، كي يتخلى عن أساليبه الفوقية ويفتح على قوى وفعاليات المجتمع السوري الأخرى، من خلال البحث عن سبل إجراء إصلاح سياسي حقيقي يفتح الأبواب أمام الجميع لتناول كافة الملفات الداخلية المتأزمة التي تنتظر الحلول منذ عقود، على طريق تحقيق التعددية السياسية التي من شأنها الإتيان بأجواء داخلية ديمقراطية تؤدي إلى إنعاش البلد وتعزيز قدراته وإمكانياته التي لن تتعزّز ما لم تتم دمقرطة كافة مؤسسات الدولة والمجتمع وذلك بعيداً عن السطوة السائدة تحت السقف الأمني لحالة الطوارئ والأحكام العرفية.

لكن يبدو أنّ أصحاب القرار السياسي في سوريا لا يكتفون بكل ما يجري حولهم، ليس هذا فحسب بل أنهم يزدادون إصراراً وتعنتاً على التمسك بكل زمام الأمور والاستمرار في اللعب بالأوراق في أحلك الظروف أو حتى في الوقت البديل الضائع أي

أما تلك الملفات الداخلية الأسيرة...؟!، فهي كثيرة ولا حصر لها كحالة الطوارئ والعمل السياسي المغيب والبيروقراطية المتفشية في إدارة الاقتصاد وقطاعي الدولة والخاص والرقابة المحكمة على وسائل الإعلام والنشر والصحافة والقمع المجحف بحق التعبير عن الرأي واحتكار المسؤوليات والوظائف الإدارية والقضاء والمحاكم ودور العلم والمعرفة والمرافق الخدمية العامة...، وحتى تجري مراقبة ما يدور في أي حي صغير أو أية قرية نائية أو بين الأقرباء والأهل في الأسرة الواحدة...؟!، هذا إضافة إلى ملفات أخرى أساسية عديدة عالقة كالمسألة الكردية وملف المعتقلين السياسيين والبطالة وغلاء المعيشة والهجرة... الخ.

وتبقى القضية الكردية من أهم تلك القضايا وأكثرها تعقيداً وحساسية وبحاجة لحل عادل وعاجل، إذ أن هذا الملف يُعتبر حتى هذه اللحظة من الملفات المسالمة سياسياً وأهلياً، رغم كل ما تعرّض له من تجاهل وضغوط وتشكيك بل تكفير خلال طيلة العقود الماضية، ورغم أنه ملف غير شائك ولم يشكل حتى الحين أي خطر على أمن وحدة وسلامة البلاد، إلا أن بعض الأوساط الشوفينية الحاكمة على الشعب الكردي، قد تعاملت معه خلال شهر آذار من العام المنصرم وفق منطق التحرّش المقصود لإثارته بشكل سلبي كي يتحوّل إلى مشكلة ساخنة أدت فيما أدت إلى توتير الأجواء ومحاولة تأليب الرأي العام السوري ضده من خلال اتهامه بالشغب والارتباط مع الأجنبي والعمل على زعزعة أمن واستقرار البلاد.

لقد أصبح واضحاً أن أحداث القامشلي الدموية قد أشعلت فتيلها بعض الجهات القومية على خلفية فتوى كي تصبّ بجم غضبها العرقي على أبناء الكرد الأمنيين الذين تعاملوا مع الحدث من منطلق مسؤول بمنتهى المرونة رغم الاحتقان الموجود والتعدي المقصود، من خلال التزامهم بالخطاب السياسي العقلاني وبخيار التهدئة واللاعنف والأشكال السلمية الوقائية...، الذي اتخذته قيادة مجموع الأحزاب الكردية أثناء الأحداث تجنباً لحصول المزيد من الاحتكاك ما بين الشارع الكردي من جهة والجهات الأمنية من جهة أخرى، ورغم ذلك فقد راح ضحيتها — أي تلك الاحتكاكات الدامية — العشرات من الأبرياء ما بين شهيد وجريح والآلاف من المعتقلين في حينه.

إنّ الذي زاد وقد يزيد الطين بلّة...؟!، بعد مضي قرابة سنة على تلك الأحداث المؤسفة التي شهدتها كل المناطق الكردية في سوريا...؟!، هو

المستقطع كما يجري في مباريات كرة القدم...؟!، مما يبعث على المزيد من القلق على حاضر ومستقبل البلد الذي بات مرهوناً بالكثير من الرهانات السلطوية التي تبقى خاسرة في نهاية المطاف، والتي لا توحى إلى الجديّة في إيجاد مستلزمات حل الأزمات الذاتية التي تعاني منها البلاد حالياً.

إذ لا التطورات الجارية في العراق الذي شهد مؤخراً انتخابات حرّة يتمخض عنها مجلس وطني يصيغ دستور دائم لعراق ديمقراطي فدرالي تعددي...، ولا مستجدات لبنان المزدهم بمختلف الملفات المعقدة والمشاكل التي لا حصر لها...، ولا متغيّرات القضية الفلسطينية التي باتت تشهد تحوّلاً ملحوظاً بعد فوز السيد محمود عباس بمهام الرئاسة...، ولا المبادرة الجديدة التي أطلقها الملك عبد الله إعادة ترتيب الأردن إلى ثلاثة أقاليم إدارية منتخبة...، ولا حتى منحى الدبلوماسية الدولية وقرارات مجلس الأمن وخاصة القرار رقم ١٥٥٩ الذي تمّ اتخاذه بحق لبنان والانسحاب السوري...، ولا غير ذلك من الإجراءات الدولية والإقليمية الضاغطة على سوريا، تدفع السلطة صوب إجراء مراجعة شاملة تؤدي بها إلى الانفتاح الإيجابي على الداخل والتخلي عن العقلية الإقصائية التي تسير وفقها مجمل الأوضاع الداخلية المتردية يوماً بعد آخر.

لقد اثبت عام ٢٠٠٤م على الصعيد الداخلي السوري، أنه كلما زادت الضغوط الخارجية على النظام فإنّ الأخير سيزيد بل يتمادى في الضغط على الداخل الذي بات ألعوبة بيد القبضة الأمنية السائدة، وإذا كان هنالك ثمة من يراهن على إمكانية إدارة المسائل المتأزمة بشكل أمّني بحت، كما كان يتم إدارتها في السابق، فإنّ هكذا رهان بات خاسراً في هذه المرحلة التي أصبحت تتسم بتجليات وموجبات وتداعيات كثيرة مغايرة لما كان يجري فيما قبل، فكل شيء في هذا العالم قد تغيّر ما عدانا نحن الذين لا نزال نتباهى بظلم الإنسان لأخيه الإنسان...؟!، وكل الدنيا قد تبدّلت نحو الانفتاح والانفراج ما عدا بلدنا الذي ما زال يراوح في الزمان والمكان ويزاول نفس الممارسات القديمة.

فالقيادات الأمنية لازالت هي الجهة الوحيدة التي تستحكم بموازين القوى لدى الحديث في الأروقة العليا عن أي نوع من التغيير — سواء أكان ذلك تغييراً إدارياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو غيره — ولا شيء يفلت من الرقابة الأمنية والملاحقات الاستخباراتية، أي أن كل الملفات — الداخلية والخارجية — باتت أسيرة العقلية الفجة لمؤسسات حزب البعث الحاكم.

## جمهورية مهباد

## في ذكراها التاسعة والخمسين

في ٢٢ كانون الثاني من عام ١٩٤٦م، أعلن القائد الكردي الوطني قاضي محمد، رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي تم تأسيسه عام ١٩٤٥م، وفي حشد جماهيري كبير بساحة جوار جرا رسمياً عن إعلان جمهورية كردستان ونصب نفسه رئيساً لها، مخاطباً الجماهير المحتشدة: (إن الكرد شعب متميز يعيش على أرض وطنه، وله أيضاً الحق في تقرير المصير كسائر الأمم).

ومنذ ذلك اليوم، باشرت الحكومة الكردية بتقديم خدماتها للشعب، ففتحت المدارس باللغة الكردية، وأخذ الأطفال يتعلمون لغة آبائهم وأجدادهم بحرية تامة، كما تم إصدار جريدة تحمل اسم "كردستان" ناطقة باسم الحزب والحكومة، وإعطاء دور متميز للمرأة الكردية كي تأخذ موقعها في البناء والعطاء. ساهم البارزاني الخالد قدر مستطاعه في توطيد أسس هذه الجمهورية إلى جانب أشقائه في القيادة.

ولكن، وبعد اندحار النازية على أيدي قوات الحلفاء، ونتيجة لمصالح القوى العظمى وتبادل مناطق النفوذ، انسحبت القوات السوفياتية من الأراضي الإيرانية، فعاد محمد رضا بهلوي - شاه إيران - مدعوماً من الولايات المتحدة ليعيد بسط سيطرته على كامل الأراضي الإيرانية ويعاقب الشعبين الأذري والكردي عقاباً شديداً، فتقدمت قواته صوب جمهوريتي أذربيجان وكردستان، لتخلف وراءها قتلاً ودماراً وخراباً. دخلت قوات الشاه مدينة مهباد (العاصمة الكردية) يوم ١٥ كانون الأول من عام ١٩٤٦م، واعتقلت قادة هذه الجمهورية، وفي المقدمة منهم رئيسها قاضي محمد، الذي أبى أن يهرب لينجو بروحه ويترك شعبه عرضة للانتقام سلطات شاه إيران، فتحمل مسؤوليته الوطنية، وقدم دفاعه المعروف أمام المحكمة العسكرية السورية التي شكلها الشاه، والتي أبدى أمامها شجاعة فائقة من خلال دفاع قانوني ومنطقي عن نفسه ورفاقه وشعبه، إلا أن الأحكام كانت مبرمة مسبقاً في طهران، فتم تنفيذ حكم الإعدام شنقاً بحقه وحق شقيقه صدر وابن عمه سيف وزير الدفاع صبيحة يوم ٣١ آذار من عام ١٩٤٧م في نفس الساحة التي أعلن منها تأسيس هذه الجمهورية التي لم تدم سنة كاملة.

ستبقى جمهورية مهباد نكرى طيبة في قلوب الأكراد وأصدقائهم المناصرين لقضيتهم العادلة، وسيبقى الشهيد قاضي محمد رمزاً للتضحية والوفاء لشعبه.

أن الجرح الذي أحدثته، بات يزداد عمقاً وتوزماً، وأن الشارع الكردي أصبح يزداد اغتراباً واحتقاناً، جرّاء عدم تخلي السلطة عن التعامل الأمني مع هذه المسألة التي باتت تزداد تعقيداً...؟!... فلا المعتقلون على خلفية الأحداث تم إطلاق سراحهم ولا الجرحى والشهداء والمتضررون تم تعويضهم ولا مظاهر التمييز الشوفيني تم تخفيفها ولا... الخ....

وبالمقابل من ذلك فإن الذكرى السنوية الأولى لتلك الأحداث تقترب ويزداد معها الترقب والحذر مما قد تحمل معها من ذاكرة وتدايعات لم تحسب لها السلطة سوى الحسابات الأمنية الخاصة جداً والتي ليس من شأنها سوى زيادة حدة المسائل بل توتيرها...؟!..

بقي أن نذكر بأن لسان حال الشارع الكردي يسأل : كيف سيتم استقبال هذه الذكرى...؟!... فهل لدى السلطة أية نوايا وطنية خيرة تبعث على الخير للکرد ولبلد يرمته...؟!...، والسؤال الأهم في هكذا حالة قادمة هو : بأي حال ستعود يا آذار ويا عيد نوروز...؟!..، حيث لا أحد يدري ما هو مخبئ لنا أثناء إحيائنا لمناسبات آذار التي هي مسؤولة لقاء على عاتق كل إنسان كردي بل سوري شريف...؟!..

إن الجانب السياسي الكردي سيبقى ملتزماً بالخيار العقلاني لدى إحيائه لذكرى تلك الأحداث، وسيبتعد عن الاعتباطية في الأداء، ليس هذا فحسب بل سيسعى من جانبه باتجاه تهدئة الأوضاع حتى ولو كان ذلك من طرف واحد...؟!..، لكن اليد الواحدة ليس بإمكانها أن تصقق بمفردها...؟!..، وتبقى الكرة في كل الأحوال في ملعب السلطة التي لازالت تمتلك كافة الخيارات السلمية منها واللاسلمية...؟!..

موقعنا على الانترنت:

[www.yek-dem.com](http://www.yek-dem.com)

عن طريق:

[www.sevdaa.com](http://www.sevdaa.com)

[www.anonymizer.com](http://www.anonymizer.com)

كل الجهود لعقد مؤتمر وطني كردي في سوريا